

المحاضرة الأولى:

الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالات الاصطلاحية

إعداد الأستاذ: رابح رزيق، جامعة جيجل.

تمهيد: النظرة الشائعة عن الفلسفة:

من الملاحظ أنه كلما تم استحضار كلمة فلسفة بين الناس إلا وتبادر لدى بعضهم مجموعة من التصورات والأوصاف السلبية حولها وحول مسائلها وموضوعاتها والمشتغلين بها، خصوصاً في بعض المجتمعات مثل مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فهل هذه الأوصاف حقيقية أم أنها تعبر عن عدم الدراية الكافية بحقيقة هذا المجال المعرفي؟ هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإنسان "عدو ما يجهل" مثلما يقال.

لقد كتب العالم الفيزيائي الشهير ألبرت أينشتاين مرة يقول: «في بداية أمري توزعت بين رغبتين، أن أتخصص في الفلسفة أو أتخصص في علم الاقتصاد، ثم وجدت أن الاقتصاد أسهل مما ينبغي فأعرضت عنه وبالمقابل وجدت أن الفلسفة أصعب مما ينبغي فأعرضت عنها، وهكذا اخترت الفيزياء»، ولعل مقولة أينشتاين هذه هي جزء من النظرة الشائعة التي ينظر بها كثير من الناس إلى الفلسفة، فمن الشائع أن يقول بعضهم إنَّ الفلسفة صعبة ومعقدة وغامضة، وبعضهم يرى أنه لا جدوى منها، بسبب أن مسائلها تبدو أصعب وأعقد من مسائل العلم، فالفلسفة في وهم أكثر الناس هي شيء صعب ومعقد، شيء فوق العلم وأعقد منه، ولكن هذه النظرة قاصرة وليست صحيحة بالضرورة، فقبل أن نحكم على شيء لا بد أن نفهمه أولاً.

إن كثيراً من الناس يعتقد أن الفلسفة تتسم بالغموض والتعقيد، هذا الوصف قد يصدق على بعض الفلاسفة المعدودين مثل هيجل، أو على بعض الاتجاهات الفلسفية، لكنه وصف لا يشمل كل مجالات الفلسفة وجميع المشتغلين بها، ذلك أن البساطة والوضوح من شروط الكفاءة العلمية والمعرفية وإذا ما بدا الكلام غير واضح للقارئ أو السامع فهذا لا يعني بالضرورة أن الكلام معقد وغامض، بل إن الغموض والتعقيد قد يكون بسبب أن القارئ أو السامع ليست لديه الخلفية العلمية والفكرية اللازمة لفهم واستيعاب هذا الكلام.

مثلاً: لا يمكن لشخص أن يفهم ويستوعب بحثاً علمياً في مجلة علمية متخصصة في الفيزياء النظرية أو في الرياضيات أو في المنطق أو في اللسانيات أو غيرها من مجالات المعرفة، ما لم يكن هذا الشخص لديه مكتسبات قبلية في مجال الموضوع المقروء ، لذلك سيبدو له الكلام معقداً وغامضاً، إذن مسألة الغموض والتعقيد ليست خاصة بالفلسفة فقط بل بكل المجالات المعرفية في مجال علوم الإنسان والمجتمع، كما في مجال العلوم الطبيعية، فما يحتاجه المرء قبل أن يحكم على مجال معرفي ما هو أن تكون له المعارف اللازمة لفهم هذا المجال المعرفي، فهمه من حيث اللغة والأسلوب والمصطلحات وفهمه من حيث المضمون المعرفي.

لذلك فإنه من ناحية بيداغوجية، وقبل أن نقدم بشأن الفلسفة أحكاماً مسبقة، ستكون أول خطوة صحيحة لوضع قدم في عالم الفلسفة واستيعابها بالشكل المطلوب، هي الوقوف على دلالاتها من الناحية اللغوية والاصطلاحية .

وَأولاً: الدلالة اللغوية لمفهوم الفلسفة:

الفلسفة لفظ استعارته العربية من اللغة اليونانية، وهو يتألف من قسمين: الأول: "فيلو" وتعني حب، والثاني: "صوفيا" وتعني حكمة، فيكون المعنى الاشتقاقي لكلمة فلسفة هو "حب الحكمة" وإيثارها، وقد نقلها العرب إلى لغتهم بهذا المعنى "حب الحكمة" في عصر الترجمة ، ومن الملاحظ أن كثيراً من لغات العالم قد استبقت على الأصل اليوناني لهذا اللفظ وحورته قليلاً ليستقيم في ألسنتها بقصد الدلالة على هذا الحقل المعرفي، ففي اللغة العربية "فلسفة"، وفي اللغة الانجليزية philosophy ، وفي اللغة الاسبانية والاطالية والبرتغالية filosofia ، وفي اللغة الفرنسية والألمانية. philosophie

ومن الملاحظ أيضاً أن هذا اللفظ الذي استعارته العربية من عند اليونان "فيلوصوفيا" ليس لفظاً مفرداً بل إنه لفظ مركب، من كلمتين، "فيلو" و"صوفيا"، وحسب بعض الباحثين فإن كلمة "فيلو" كلمة إغريقية أصيلة، في حين أن كلمة "صوفيا" ليست إغريقية الأصل "ودليلنا على ذلك ما كتبه أفلاطون نفسه في محاوره "أقراطيلوس" عندما وصف كلمة "صوفيا" بأنها: "كلمة غامضة جداً، ويبدو أنها ليست من أصل محلي. "

وقد دعا أفلاطون في هذه المحاورة إلى البحث عن أصل هذه الكلمة "صوفيا" وغيرها من الكلمات التي اعتبر أنها من أصل أجنبي، وهو يرجح أن مثل هذه الكلمات قد استعارها اليونانيون من "البرابرة" أي من غير اليونانيين، أو الأجانب الذين خضعوا لهم، وفي هذا السياق أدى البحث الحديث عن أصل هذه الكلمة بالباحث مارتين برنال Martin Bernal إلى القول بأنها ليست من أصل هندو أوروبي، وهو هنا يتفق مع ما أورده أفلاطون من أن هذه الكلمة أجنبية عن اليونان، وقد كشف برنال من أن هذه الكلمة تعود إلى التراث المصري القديم، وبالتالي إذا كانت كلمة "فيلو" يونانية الأصل، فإن صوفيا كلمة مصرية قديمة إستعارها اليونان منهم، وهي كلمة تحيل إلى معنى العلم و التعلم والحكمة لدى المصريين.

إن الدلالة اللغوية لكلمة فلسفة هي محبة الحكمة، والحكمة في ذاتها: أرقى أنواع المعرفة، لأنها تتناول المسائل الكبرى العويصة الدقيقة، وبالنسبة إلى الشخص المتصف بها: ملكة تكسبه جودة الحكم، وحسن التصرف، وكان قدماء العلماء والمصلحين يسمون أنفسهم، أو يسميهم الناس "حكماء"، ومثلما يرى فيثاغورس فإن الحكمة بمعناها التام لا تتفق للإنسان، وأن الواحد منا يعاني مشقة في تحصيلها، وقد يقضي في ذلك العمر كله ولا يبلغ الغاية، فالحكمة معرفة نطلبها ونأخذ منها بنصيب دون أن نستوعبها تمام الاستيعاب، فلسنا حكماء ولكننا طلاب حكمة ومحبوها، أي: فلاسفة، بهذا المعنى تكون الفلسفة هي: الحكمة الانسانية أي أرقى معرفة مقدورة لنا بوسائلنا الخاصة التي هي العقل ومناهجه.

أما عن السياق التاريخي الذي نشأ فيه هذا المصطلح "فلسفة" فيعود على الأرجح إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد اختلف المؤرخون حول نشأة هذا اللفظ وهل هو من ابداع اليونانيين أم أنهم أخذوه عن الحضارات المجاورة لهم، كما اختلفوا حول شخصية أول الفلاسفة فمنهم من يرى أن طاليس الملطي هو أول حكماء اليونان وأول فلاسفتهم، بينما يرى آخرون أن فيثاغورس (572 - 497 ق.م) هو أول حكيم من القدماء وصف نفسه بأنه "فيلسوف"، فعندما سئل: هل أنت حكيم؟ أجاب: لا، أنا محب للحكمة، أما الحكمة فهي لا تليق إلا بالآلهة.

هذا ما ينقله إلينا شيشرون عن تلميذ أفلاطون هيراقليط البنطي من أن تركيب هذا اللفظ "فيلوصوفيا" يعود إلى فيثاغورس، الذي كان أول من لقب نفسه بالـ "فيلسوف" وذلك في سياق حوار دار بينه وبين "ليون" حاكم "فيلوس" حيث أعجب هذا الأخير بشخصية وثقافة فيثاغورس، فسأله عن الفن الذي يركز عليه،

فاستبعد فيثاغورس صفة الحكيم عنه، ووصف نفسه بأنه فيلسوف، أي مجرد محب للحكمة، وفوجئ ليون بهذه التسمية الجديدة، فسأله ما الفرق بين الفلاسفة وغيرهم من الناس؟، فأجاب فيثاغورس: إن الحياة البشرية أشبه ما تكون بمهرجانات الألعاب حيث يذهب بعض الناس إلى تلك الألعاب ليفوزوا بمجد النصر، والبعض الآخر ليبيعوا ويشترؤا، إلا أن أفضلهم المتفرجون لأنهم يطلبون المتعة لذاتها وليس من أجل الانتصار كما حال المتنافسين، ولا الربح كما مطلب الباعة، وكذلك الشأن بالنسبة للفلاسفة، فإنهم لا يطلبون ما يطلبه عامة الناس أي المنفعة والمتعة المادية، ولا المجد وذيوع الصيت، بل يطلبون الحكمة لذاتها.

وثمة من المؤرخين من يرجع نشأة هذا اللفظ "فلسفة" إلى سقراط، الذي استعمل هذه الكلمة كرد فعل على جماعة من "الخطباء" الذين كانوا يدعون مقدرتهم ولياقتهم للحديث في كل الشؤون السياسية والاجتماعية والأخلاقية، والفلسفية بصفة عامة، وهؤلاء هم الذين يسمون السفسطائيون، ففي مقابل الفلسفة تستعمل كلمة السفسطة، وهي تعني نوعا من الاستدلال القائم على الخداع والمغالطة، احترفه جماعة من الخطباء الذين كان لهم ولع بالجدال والنزاع اللفظي، هذا التيار الواسع كان يشكل تهديدا للأسس المنطقية والأخلاقية التي يقوم عليها المجتمع اليوناني، لكن مجيء سقراط ساهم بشكل فعال في فضح ألعاب السفسطائيين ومغالطاتهم الفكرية واللغوية، وإعادة الاعتبار لأسس التفكير والاستدلال الصحيح.

والحقيقة أنه بالنظر إلى شخصية سقراط وسلوكه المعرفي سنجد أن ثمة تلاقٍ بين هذه الشخصية وبين دلالة التواضع التي تحملها كلمة فلسفة (أي محب الحكمة لا مالك لها)، فالوضعية الحوارية السقراطية كما قدمها لنا تلميذه أفلاطون في العديد من المحاورات، يبدو فيها سقراط بالفعل كشخص محب للحكمة لا ممتلكا لها، وهذا ما نجده مجسدا في العبارة الشهيرة التي تنسب إلى سقراط: "إن الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنني لا أعرف شيئا"، هذا في مقابل السوفسطائي الذي يحسب نفسه مالكا للمعرفة، وإذا أخذنا محاوره "دفاع سقراط" على سبيل المثال سنلاحظ أن أفلاطون يضع على لسان معلمه سقراط فكرة محبة الحكمة وعدم امتلاكها، وتأكيدا على أن الوعي الفلسفي يقوم على أساس إدراك جهل الذات المفكرة ومحدودية إدراكها المعرفي، ومن ثم وجوب النزوع الدائم نحو طلب الحقيقة.

من الملاحظ إذن أنه لا يمكن الجزم بشكل حاسم بمن كان أول من ركب هاتين الكلمتين "فيلو" و"صوفيا"، لأن الأمر كان ولا يزال محل خلاف بين مؤرخي الفلسفة، لذلك ليس من المهم معرفة من أول ابتدع هذا اللفظ، لكن الأهم هو معرفة الدلالة اللغوية والاصطلاحية التي يحيل إليها هذا اللفظ، لذلك سوف نحاول تاليا الانتقال من الدلالة اللغوية لمفهوم الفلسفة التي هي محبة الحكمة وإيثارها وعدم ادعاء امتلاكها، إلى الدلالات الاصطلاحية لهذا المفهوم التي هي، على ما يبدو، كثيرة ومختلفة إلى حد كبير.

ثانيا: الدلالات الاصطلاحية لمفهوم الفلسفة:

يختلف مفهوم الفلسفة من عصر لآخر ومن فيلسوف لآخر، ذلك أن الفلسفة تعبر عن أفكار عصرها، وهي مثلها مثل العلم والشعر وأي نشاط انساني آخر مكيمة بالعوامل الثقافية والنفسية واللغوية لذلك يعاد تعريف الفلسفة دائما على أنحاء مختلفة وليس على نحو واحد، حتى أن الفيلسوف الواحد أحيانا يضع عدة مفاهيم للفلسفة ولا يكفّتي بمفهوم أو معنى واحد، من هنا يصعب العثور على مفهوم اصطلاحى واحد للفلسفة يكون جامعا مانعا.

إن محاولة الاجابة عن سؤال ما هي الفلسفة؟ يحيلنا مباشرة الى داخل الفلسفة لأن تعريف الفلسفة يعد بحد ذاته إشكالا فلسفيا، وليس هذا واقع الحال بالنسبة للعلوم الأخرى كالفيزياء والرياضيات والتي يمكن تعريفها واستيعاب مفهوماها من الوهلة الأولى دون تجشم عناء الدخول إلى شبكة معادلاتها، لذلك إذا أردنا الإجابة على هذ السؤال بشكل مسهب يمكننا أن نقول إن ذلك يستغرق كل تاريخ الفكر البشري من أوله إلى أيامنا هذه، وهي مسيرة تزيد عن 26 قرنا من الزمان، لكننا سنحاول تاليا اقتصار القول في الدلالات الاصطلاحية لمعنى الفلسفة على ذكر بعض الأمثلة التاريخية الأشهر من هذه الدلالات:

1 - الدلالات الاصطلاحية للفلسفة عند اليونان:

عند مطالعة الدلالات والمعاني التي أعطاهها الفلاسفة اليونان للفلسفة، سنلاحظ أنهم لم يتفقوا على اعطاء معنى محدد للفلسفة، بل إن الذي يلفت الانتباه هو أن ثمة اختلافا يكاد يكون جذريا في بعض الحالات حول ماهية وغاية التفكير الفلسفي، على أنه من جهة أخرى ثمة مشتركات دلالية لمعنى الفلسفة لا يمكن

إغفالها، وعلى العموم يمكن أن نحصي ثلاث تصورات أساسية لمعنى الفلسفة لدى اليونان وهي: (تصور معنى الفلسفة قبل سقراط/ التصور الأفلاطوني/ التصور الأرسطي).

أ - دلالة الفلسفة قبل سقراط:

من الجدير بالذكر أن فلاسفة اليونان الأوائل، ما قبل سقراط، باختلاف جغرافياتهم في البلاد اليونانية وباختلاف توجهاتهم الفلسفية والمعرفية لم تكن لهم تحديدات واضحة ومقصودة لمعنى الفلسفة والممارسة الفلسفية، لسببين على الأقل، أولهما أن الممارسة الفلسفية لم تكن قد نضجت بعد، بل كانت في بداياتها الأولى، وثانيهما أن المتون الأصلية وكتاباتهم الفلسفية لم يتبق منها سوى شذرات متفرقة، وأمام هذا العائق المعرفي يصبح معنى الفلسفة ما قبل سقراط مسألة خاضعة للتأويل والفهم المتعدد والمفتوح، لكننا في كل الأحوال يمكن أن نعثر على دلالة مشتركة بين الفلاسفة الأوائل لمعنى الفلسفة.

إن الممارسة الفلسفية لدى اليونان السابقة على عهد سقراط كانت ممارسة فلسفية ممزوجة بروح العلم الطبيعي ومواضيعه ومناهجه البدائية قبل أن يصبح العلم علماً لذلك قيل إن الفلسفة والعلم صدرا عن أصل واحد في بداية نشأتهم، لكنهما اختلفا في وقت لاحق، فمع بداية العصر الحديث استقلت العلوم عن الفلسفة وأصبح لكل علم موضوع ومنهج، بعد أن كانت الفلسفة أم العلوم، لقد ظهرت الفلسفة في الحضارة اليونانية، في العهد الأول، كتفكير جديد يتخذ من العقل وملكاته المختلفة كالنقد والتساؤل منهجاً ويعتمد على الكتابة والتدوين وعلى الدقة في التعبير واستخدام الأسلوب الحجائي والبرهاني، وهذا في مقابل التفكير الأسطوري الذي كان شائعاً آنذاك وهو تفكير لاعقلاني يعتمد على الخيال والمشافهة والحكاية.

ب - دلالة الفلسفة عند الافلاطون:

من أن المتن الافلاطوني يحرص على تقديم الفلسفة في سياق السلب والجدل، ماذا يعني هذا الكلام؟ السلب بمعنى المقابلة والمخالفة، أي أن المتن الافلاطوني يقدم لنا الفلسفة في اتجاه ما ليس فلسفة وفي اتجاه الجدل (بمعناه الإيجابي) في مقابل السفسطة .

اذن هنالك آليتين يقدم من خلالها افلاطون معنى الفلسفة، (آلية السلب، آلية الجدل).

آلية السلب: أي تعريف الفلسفة بما ليست هي.// آلية الجدل: بمعنى الفلسفة كونها جدلاً إيجابياً في مقابل السفسطة.

قابل افلاطون الفلسفة بخمسة أشياء:

قابلها بفيلوسوماتوس (محبة المال) وقابلها بفيلوايدونوس (محبة الجسد) وقابلها بفيلوآرغيغوس (محبة اللذة) وقابلها بفيلونيكوس (محبة الجاه الاجتماعي) كما قابلها بفيلوتيموس (محبة العظمة العسكرية).

اذن حسب هذه المقابلات: الفلسفة ليست محبة المال، وليست محبة الجسد وشهوته، وليست محبة اللذة، وليست محبة الجاه والمكانة الاجتماعية، وليست محبة العظمة العسكرية والانتصارات العسكرية.

بمعنى أن الفلسفة نمط حياة مخالف لهذه المعاني التي يظن البعض انها غاية وجودهم وحياتهم، كثير من الناس يسعى لتحقيق هذه الرغائب ظاناً منه انها غاية الوجود، لكن الفلسفة أسلوب ونمط حياة مخالف لهذه الرغائب.

حسب المتن الافلاطوني فإن الفلسفة نمط حياة، ونشاط روحي وفكري يبتغي المعرفة لذاتها لا لمنفعة مادية، وبهذا فإن افلاطون يقدم لنا نموذجاً مثالياً لنمط العيش الفلسفي.

الفلسفة أيضاً ممارسة جدلية تبتغي الوصول بالفكر إلى عالم المثل المفارق لعالمنا المادي، لأن غاية الفلسفة ووظيفتها حسب افلاطون الوصول بنا إلى الوجود الحق أي عالم المثل أو عالم الكليات الأزلية التي يفحص عنها عالم الحس افصاحاً ناقصاً .

الوجود عند افلاطون قسمين: (1) عالم الحس أو عالم الظواهر الذي نعيش فيه وهو عالم زائف، عالم جزئي ومتغير (2) عالم المثل، عالم الكليات والحقائق الأزلية الثابتة

ينبغي على الفيلسوف أن يسعى باستمرار إلى اللحاق بعالم المثل، لا أن يحصر نظره في عالم الحس حيث التغير والحقائق الزائفة والمشوهة. (اضرب مثلاً بأسطورة الكهف) .

هنالك نص افلاطوني يصور الفيلسوف على أنه لا يعرف ما يجري في المدينة التي يعيش فيها، لا يعرف ما يحدث من جزئيات لأن اهتمامه وتفكيره متعلق بعالم المثل حيث الحقائق الثابتة الكلية والأزلية. ((ثمة

نكتة أو قصة تحكي عن طاليس الذي خرج في ليلة من الليالي رفقة خادمته، وكانت ليلة مرصعة بالنجوم، فأخذ طاليس يتأمل نجوم السماء وهو يمشي، فإذا به يسقط في بركة من الماء، فاخذت خادمته تضحك من منظره، وقالت ساخرة إن طاليس يعرف نجوم السماء لكنه لا يعرف الزقاق الذي يمشي فيه. ((مثال أيضا عن فيلم أد أسترا، الأب الذي يبحث عن حياة خارج الأرض، يطرح فكرة "عشية البحث عن حياة خارج الأرض" ومن خلال هذه الفكرة يؤكد على أهمية ضرورة أن يرى المرء ما موجود أمامه...)).

حكاية طاليس هذه أخذها افلاطون ليؤكد أن الفيلسوف لا يهتم بما تحت أنفه، بل ينظر بعيداً، إذن فإن غاية الاشتغال الفلسفي هو إحداث نقلة من عالم الحس والجزئيات إلى عالم المثل والكلديات، ولكن هذا الاشتغال حسب افلاطون يحتاج إلى مران وتدريب خاص، مبتدؤه عند افلاطون أن يكون الشخص الفيلسوف أو الراغب في الفلسفة شخصاً رياضياً، لذلك كتب افلاطون على باب الأكاديمية: "من لا يعرف الرياضيات لا يدخل علينا، أو لا يطرق بابنا". افلاطون كان يعتقد أن فعل التفلسف يحتاج إلى عقلية خاصة قادرة على فعل التجريد (يعني الانتقال بالأفكار من الحس إلى التجريد)، العقل الملتصق بالحس ليس عقلاً فلسفياً، أما العقل الذي يمكنه التجريد فهو عقل فلسفي، ولكي نمتلك هذا العقل لا بد من ممارسة الرياضيات أولاً لأنها أهم ميدان معرفي يعمل على التجريد.

افلاطون لم يكتف بتصوير الفلسفة تصويراً ابستمولوجياً فقط، بل قدم الفلسفة بوصفها أسلوباً في العيش. لكن يبدو أن ثمة مفارقة في دلالة الفلسفة في المتن الأفلاطوني، من جهة يصور الفيلسوف متعالياً عن الواقع، ومن جهة الفلسفة فضلاً عن أنها عملية تجريدية فهي أيضاً نمط في العيش !!.

ج - دلالة الفلسفة عند أرسطو:

معنى الفلسفة عند أرسطو لا يمكن فصلها عن نظريته في العلل (العلل الأربعة)، فالامر بينهما وثيق جداً، يعرف أرسطو الفلسفة قائلاً: «هي معرفة نظرية بالمبادئ والعلل الأولى»، وتعريفه هذا للفلسفة لم يبق مجرد تحديد نظري (كما عند أستاذه افلاطون) بل صار عنده منظوراً اجرائياً.

مقولة العلة عند أرسطو اتخذها منظاراً منهجياً قرأ به كل الميراث الفلسفي السابق عليه، فانتهى إلى أن الفلسفة اليونانية الأولى اتخذت منحى طبيعياً (فيزيائياً) في تحديد مفهوم الوجود، فاخترلت أصل الوجود

كله في علة مادية، اي اختزلت علة الوجود في نظرة احادية، بينما الوجود في نظر ارسطو مركب وليس احادي، ((ارسطو يرى في أطروحة انبازوقليدس التي تقول بالعناصر الأربعة، أطروحة جيدة لأن الوجود مركب وليس احادي)).

لكن رغم ذلك فإن ارسطو يرى أن انبازوقليدس رغم تعدد أصول الوجود لديه الا انه ظل منحصرًا في علة واحدة كسابقه، وهي العلة المادية، بينما بالنسبة لارسطو لا يمكن تفسير الوجود من خلال العلة المادية فقط. ((صحيح أن انبازوقليدس أشار بطريقة غير مباشرة إلى المحبة والكراهية كعلة فاعلة، تجمع العناصر الأربعة أو تفرقها، لكن ارسطو لم يأخذ بذلك بسبب ان هذا المعنى عاطفي وليس عقلي)).

سنجد أن انكساغوراس اول من استخدم معنى العلة الفاعلة كمعنى عقلي، اي ان الوجود لكي يتكون، حسب انكساغوراس، لا بد له من عقل فاعل يجمع العناصر المادية للوجود، اصطلح عليه انكساغوراس بالنوس (النوس لفظ يوناني يفيد معنى العقل)، لكن رغم القول بهاتين العلتين (المادية، والفاعلة) ظل التفكير الفلسفي حسب ارسطو قاصرا عن بلوغ التفسير الفلسفي الحقيقي لمعنى لأصل الوجود. (هذا ما تنبه اليه افلاطون فاضاف إلى العلتين السابقتين العلة الصورية أو الماهوية، فاعلم المثل هو عالم ماهوي، تجريدي، فالشجرة في العالم لا يمكن أن توجد حسب افلاطون الا بوجود فكرة الشجرة... وقس على ذلك كل مظاهر الوجود لها صورة أو ماهية مفارقة، مثالية، تجريدية، ازلية... من هنا يمكن القول إن افلاطون هو الذي ابتدع مفهوم العلة الصورية).

بقيت العلة الرابعة وهي العلة الغائية، التي اظفها ارسطو، بالنسبة إليه لكل شيء في الوجود علة غائية، وظيفة يؤديها.

بحث أرسطو الحاجة إلى المعرفة وضرورة التفلسف في الحياة، من خلال إقامة فصل ما بين الجسد والفكر، فبالنسبة إليه الجسد مجرد أداة يمكن أن تفعل وتتفاعل في غيبة (أو غياب) الفكر، والأدوات إذا تركت على حالها تصبح خطرا، لذلك لا بد لنا من الاعتناء بالفكر ليقوم بدوره، في توجيه الجسد نحو الوجهات الصحيحة. بهذا المعنى يشترط أرسطو الحياة التي تليق بالكائن الإنساني بممارسة التأمل الفلسفي، يقول أرسطو: «إن التأمل والمعرفة جديران بأن يسعى إليهما الإنسان إذ بهما يستحيل على المرء أن يحيا الحياة التي تليق بانسانيته» هنا أرسطو يدافع عن الفلسفة بمنطق الفائدة العملية، وليس

منطق الفائدة النظرية. لكنه عندما يدافع عن الفلسفة بمنطق الفائدة العملية يجعلها مرهونة بأهمية الجانب النظري.

ربط أرسطو السعادة الحقيقية بالتأمل الفلسفي، وهذه السعادة مرتبطة بمعرفة علة العلل جميعها، (أي الله) أو المحرك الذي لا يتحرك بتعبير أرسطو .

الجسد أداة حسب أرسطو ولا يمكن استخدام الأداة بشكل صحيح الا اذا تمت معرفة هذه الأداة، كل أداة لا يمكن لك أن تحسن استعمالها إلا إذا عرفتھا، (هنا أولوية الفكر والنظر)، يقول أرسطو: «يجب أن نصبح فلاسفة إذا أردنا أن نصرف شؤون الدولة بصورة صحيحة، ونشكل حياتنا الخاصة بطريقة نافعة» ، إذن الفلسفة في معناها الارسطي موصولة بالحياة في ابعادها كمدينة، كدولة، وابعادها كذات فردية، (إدارة المدينة، إدارة الذات، إدارة الأسرة = سياسة، أخلاق، اقتصاد)، اي ان أرسطو لم يرفع الفلسفة إلى مقام الترف الفكري بل جعلها موصولة بالحياة العملية، في شتى مجالاتها.

2 - الدلالة الاصطلاحية للفلسفة عند المسلمين :

عرفت الفلسفة في بلاد الإسلام بعد حركة الترجمة التي قامت بنقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية مما جعلها تنطبع بطابع خاص رغم الادعاءات الاشراقية التي تنفي عليها الصفة الأصلية للفلسفة كما هو الحال عند المستشرق الفرنسي ارنست رينان وهنا سنورد البعض من تعريفات الفلسفة لدى فلاسفة المسلمين منها:

1-الكِنْدِي (805 - 873) : حيث عرّف الفلسفة بالعديد من التعريفات نذكر منها:

أ - صناعة الصناعات وحكمة الحكم.

ب- معرفة الانسان نفسه تؤدي إلى معرفة العالم الأكبر أي المعرفة بالطبيعة والكون ومن ثم ترتقي إلى معرفة الخالق

ج - إنها التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان.

2-الفارابي (874 – 950): نظر إلى الفلسفة باعتبارها الصناعة التي تؤدي إلى إصابة الحكمة لمن يتمتعون بجودة التمييز الناتجة عن جودة الذهن. واقتناء الحكمة – أي معرفة الحق على طريقة الفلاسفة – يعني اقتناء الأشياء الجميلة نظرا وعملا فهناك في نظره الجمال النظري الذي هو المعرفة النظرية للحقيقة على أساس من التأمل المتصف بالحكمة، وهناك الجمال العملي الذي هو السلوك الفاضل الذي يتخذ من الموقف الوسط حدا يلتزم به فلا يتجه إلى أحد الطرفين المرذولين . (ص 5).

3 - الدلالة الاصطلاحية للفلسفة في العصر الحديث والمعاصر:

1-رينيه ديكارت (1596 – 1650): في مقدمة كتابه 'مبادئ الفلسفة' يقول: "إن الفلسفة كلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء ، وغصونها المتفرعة عن هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى و هي ترجع إلى ثلاثة رئيسية: هي الطب ، والميكانيكا ، والأخلاق ، وأعني أسمى أخلاق وأتمها ، وهذه هي أعلى درجات الحكمة ، وتفترض معرفة كاملة بسائر العلوم"

2-فرانسيس بيكون (1561-1626): و يذهب إلى تعريفها من خلال أن الفلسفة تدع الأفراد جانبا، ولا تهتم بالانطباعات الأولى التي تحدثها فينا ، وإنما المعاني التي تستمد منها بالتجريد. وهذا هو دور العقل ومهمته"، وفي هذا السياق نشير إلى أن بيكون لم يتردد في نقد الفلسفة التقليدية ومهاجمتها وتحميلها أوزار الجمود العلمي والفقر العقلي والعقم والعجز عن الاسهام الفاعل في رفاهة الانسان وتقدمه وسعادته، وطالب من أجل ذلك بضرورة اصلاح منهج التفكير من خلال كتابه "الأورجانون الجديد .

أما الفلسفة المعاصرة فقد مثلت نظرة جديدة في التفكير الفلسفي من حيث المنهج والمنطلقات والوسائل والغايات، ومن بين أشكال الفلسفة المعاصرة نذكر العديد من الاتجاهات منها الماركسية والوجودية والبرغسونية والوضعية المنطقية والبراغماتية الخ

1-الوضعية المنطقية: وترى أن الفلسفة ليست البحث في حقيقة الوجود أو طبيعة المعرفة على نحو ما ذهب أتباع الفلسفة التقليدية بل هي مجرد منهج للبحث، هدفه التحليل المنطقي للغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية أو يصطنعها العلماء في مباحثهم العلمية ، رغبة في ازالة اللبس و الغموض الذي يعتري الأفكار، وبيان عناصرها حتى تبدو واضحة وجلية

2-البراغماتية: الفلسفة عند هذا الاتجاه المعاصر ليست بحثاً تأملياً في مختلف القضايا و الموضوعات التقليدية، بل الفلسفة هي التطبيق العملي لمختلف الأفكار والتصورات التي ينتجها العقل البشري ثم فحص نتائج تلك الأفكار ، و بمعنى آخر فإن البراغماتية تعتبر أن الفكرة الصادقة و الصحيحة هي ما يحقق لنا نتائج نفعية - مفيدة والعكس صحيح ، وبغير هذا المعيار ستبقى أفكارنا مجرد تصورات نظرية لا نستطيع الحكم عليها.